مشروع انشاء المستعمرة اليهودية في يوغاندة

خالد القشطيني

عرضت الحكومة البريطانية في سنة ١٩٠٣ على المنظمة الصهيونية مستعمرة ذات حكم ذاتي لليهود في افريقيا الشرقية . وتلقي قصة هذا العرض اضواء مفيدة على تفكير الصهاينة وخاصة بالنظر لتجرد هذه القصة من التحزب والعاطفية التي ترتبط عادة بالقضية الفلسطينية ، وبالرغم من أن القصة بذاتها قد أصبحت في حكم النسيان الان . أما خلفية ومقدمات ذلك العرض فتدور حول الهجرة اليهودية الكثيفة من اوروبا الشرقية الى غربيها في اوائل هذا القرن . وادت معاداة السامية التي اخرجت اليهود من الشرق الاوربي الى ايقافهم عند مشارف العواصم الغربية ووصد الابواب امامهم . واضطرت الحكومة البريطانية في غمرة الاحتجاجات والمجادلات الى تشريع لائحة الاجانب التي استهدفت منع المهاجرين اليهود من دخول الجزر البريطانية . وحدث ان قامت لجنة تحقيق بدراسة الموضوع قبل اصدار القانون واستمعت الى كثير من الشهود والخبراء بمن فيهم الدكتور ثيودور هرتزل ، مؤسس المنظمة الصهيونية ورئيسها . واشار الزعيم الصهيوني في شهادته الى ان دخول اليهود الى بريطانيا سيؤدي الى تدهور احوالهم وتفاقم مشكلتهم وان الجواب الوحيد المعقول الذي ينبغي اعطاؤه للمهاجر اليهودي هو في ارساله الى مكان اخر(١). وقام هرتزل بشرح نصيحته خلال مقابلته مع جوزيف شمبرلن الذي كان قلقا حول خطر تدفق اليهود عبر القنال الانكليزي.وكان شمبرلن انئذ وزيرا للمستعمرات في حكومة ارثر بلفور فنظر الىالموضوع من زاوية اختصاصه وفي نطاق المفاهيم الاستعمارية الاستيطانية (الكولونيالية) . لم لا يعطى اليهود رقعة من الارض من الامبراطورية البريطانية الواسعة ويسكنون فيها بعد اخراج المواطنين الاصليين ؟ واتجه التفكير اولا الى قبرص وسيناء ، ولكن الحكومة البريطانية سرعان ما وجدت هاتين المنطقتين خارج الامكانية واجدر من أن تعطيا لليهود . وحظي هرتزل بمقابلة اخرى مع شمبرلن في ٢٣ نيسان (ابريل) ١٩٠٣ فقال له وزير المستعمرات ، حسب رواية هرتزل التي سجلها في مذكراته مباشرة في اليوم التالي ، « لقد وجدت لك ارضا خلال سفراتي وهذه الارض هي يوغندة . انها حارة عند الساحل ولكن المناخ يصبح ممتازا في الداخل ، حتى بالنسبة للاوروبيين . ويمكنكم فيها ان تزرعوا السكر والقطن . وقد قلت لنفسي ، هذه ارض مناسبة للدكتور هرتزل »(٢). وكان جواب هرتزل جوابا طماعا فقال ان اليهود سيأخذون اولا العريش ثم يوغندة ايضا . بيد أن حكاية العريش لم تثمر شيئا وابلغت وزارة الخارجية في ٦ تموز (يوليو) المنظمة الصهيونية رسميا بأن الحكومة المصرية (تحت هيمنة اللورد كرومر) لم